

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني بعد الهجرة

وتطبيقاتها المعاصرة

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد(*)

المستخلص

عنوان البحث: الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني بعد الهجرة، وتطبيقاتها المعاصرة.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التأسيس الشرعي لائتلاف من خلال عرض أبرز الأساليب النبوية لغرس الائتلاف وتعزيزه في المجتمع المدني بعد الهجرة، ثم ذكر أبرز التطبيقات المعاصرة لائتلاف في المجتمع المحلي والإقليمي والإسلامي، وكانت المناهج المتبعة فيه: الاستقرائي، ثم التحليلي والوصفي، وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج من أهمها: أن الأساليب النبوية لغرس الائتلاف في المجتمع المدني وتعزيزه متعددة منها: الشورى، وتسمية الجماعات المختلفة باسم واحد لقطع أسباب النزاع بينهم مثل تسمية الأوس والخزرج بالأنصار، ومنها المؤاخاة بين أطراف المجتمع الواحد وهي من أعلى مراتب الألفة كما في مؤاخاة المهاجرين والأنصار.

كما أن من الأساليب تفضيل العبادة المتعدية على اللازمة، وترك بعض الأعمال المستحبة تأليفاً، والتنازل عن بعض الحقوق الخاصة طوعاً تغليياً لمصلحة الائتلاف، كما تبين من خلال التطبيقات المعاصرة لتعزيز الائتلاف أن المملكة

(*) الأستاذ في قسم السنة وعلومها في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.

141422@qu.edu.sa

===== الأَسَالِيبُ النَّبَوِيَّةُ فِي ائْتِلَافِ الْمَجْتَمَعِ الْمَدْنِيِّ =====

العربية السعودية في مقدمة الدول الإسلامية المطبقة للأساليب النبوية في الائتلاف على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وهو ما أهلها بحق أن تكون قائدة ورائدة عالمياً.

الكلمات المفتاحية: الائتلاف - تعزيز الائتلاف - الأساليب النبوية للائتلاف - تطبيقات الائتلاف.

Abstract

Research Title: Prophetic Methods in Building Civil Coalition After Migration and Its Contemporary Applications.

Research Name: Prof. Dr. Badryah Abdulaziz Ibrahim Al Saeed, Professor in the Department of Sunnah and its Sciences at the College of Sharia and Islamic Studies at Qassim University.

Abstract: This research aims to establish the legal basis for coalition through presenting the most prominent prophetic methods for instilling and strengthening coalition in civil society after migration. Then, it delves into contemporary applications of coalition within local, regional, and Islamic society, employing inductive, analytical, and descriptive methodologies. The research concludes with several important findings which underscore the abundance of prophetic methods for enhancing and strengthening coalition in civil society, such as consultation (Shura), naming different groups with a single name to eliminate causes of conflict, such as naming the Aws and Khazraj as the Ansar. Another method is fostering brotherhood among different segments of society, as seen in the brotherhood between immigrants (Muhajireen) and the helpers (Ansar). Additionally, the Prophet preferred supererogatory acts of worship over

===== الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني =====

obligatory ones, left some recommended acts to avoid burdening the coalition, and willingly relinquished certain individual rights for the greater benefit of the coalition. The contemporary applications of coalition building demonstrate that Saudi Arabia is at the forefront of Islamic countries in implementing prophetic methods for coalition building at the local, regional, and international levels, making it deserving of being a global leader in this field.

Keywords: Coalition, Strengthening Coalition, Prophetic Methods for Coalition, Coalition Applications.

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،

نبينا محمد ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الائتلاف من القيم الإسلامية الأساسية في المجتمع، وهو ركيزة أساسية في المجتمعات المستقرة المتقدمة عبر التاريخ؛ لأنه عماد التماسك الاجتماعي، لذا أكد عليه القرآن الكريم وترجمته السنة النبوية تطبيقاً عملياً في المجتمع الإسلامي منذ تأسيسه في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية الشريفة، حيث كان المجتمع المدني تمزقه الخلافات والحروب القبلية.

من هنا جاء هذا البحث لإبراز الأساليب النبوية في غرس الائتلاف وتعزيزه في المجتمع المدني بعد الهجرة، فهو المنهج المؤهل لبناء أسس الائتلاف بين أطراف المجتمع المختلفة بما مكنه الله من وسائل ومبادئ إنسانية فاعلة، فالأحاديث النبوية زاخرة في مواقف متباينة قولاً وفعلاً، وفي ظروف مختلفة من يسر وعسر، وضغوط متفاوتة الشدة، وكلها تؤكد على أن الائتلاف وتلاحم المجتمع مطلباً أساسياً لإرساء قواعد المجتمع الإسلامي وقوته وانتصار الدين ونشره.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في أن اختلاف العقول والفهوم وطبائع البشر تختلف مما قد يوقع الخلاف والافتراق بينهم، وبما أن ائتلاف المجتمع من مقاصد الشريعة الإسلامية ومحاسنها وفضائلها، فما المنهج النبوي الذي نقل المجتمع المدني من الاختلاف والتناحر، إلى الائتلاف واللحمة؟ ويتفرع من ذلك عدد من التساؤلات تمثلت في الآتي:

١- ما واقع المجتمع المدني قبل الهجرة، وما الأطياف المكونة له

بعدها؟

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

- ٢- ما أبرز الأساليب التي استخدمها الرسول ﷺ لغرس قيمة الائتلاف وتعزيزها في المجتمع المدني؟
- ٣- ما التطبيقات المعاصرة لأساليب تعزيز الائتلاف في المجتمعات الإسلامية.

وفي هذا البحث أسمى . مستعينة بالله تعالى . للإجابة عن هذه التساؤلات .

أهداف البحث:

- ١- توضيح واقع المجتمع المدني قبل الهجرة، والأطراف المكونة له بعدها.
- ٢- عرض أبرز الأساليب التي استخدمها الرسول ﷺ لغرس قيمة الائتلاف وتعزيزها في المجتمع المدني.
- ٣- إبراز بعض التطبيقات المعاصرة لأساليب تعزيز الائتلاف في المجتمعات الإسلامية.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- ١- إن الربط بين العلم والتطبيق من أهم ما يحتاجه المجتمع، وفي السنة النبوية من الأساليب والوسائل تطبيق عملي يلبي تلك الحاجة ويسد ذلك العوز.
- ٢- الحاجة الماسة للإتلاف في المجتمعات الإسلامية في ظل التغيرات المتلاحقة التي يشهدها العالم المعاصر، فهو مطلب في غاية الأهمية؛ لتطبيقه سلوكًا عمليًا في حياة المسلمين .
- ٣- الإسهام بإبراز الأساليب التي استخدمها الرسول ﷺ لائتلاف مجتمع متنازع متحارب متناحر قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرنًا.

أ.د./ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

حدود البحث:

سأقتصر في هذا البحث على إبراز سبعة من الأساليب النبوية لغرس الائتلاف وتعزيزه في المجتمع المدني بعد الهجرة، مع ذكر أبرز التطبيقات المعاصرة لها على المستوى المحلي والإقليمي والإسلامي.

الدراسات السابقة:

لم أقف . بعد بحث . على دراسة أو بحث مستقل يتناول الأساليب النبوية لائتلاف المجتمع المدني، وما وقفت عليه مما له علاقة بالائتلاف ما يأتي:

١- كتاب: (الائتلاف والاختلاف -أسسه وضوابطه-)، للدكتور: صالح بن غانم السدلان، تناول فيه معنى الائتلاف والاختلاف، والموقف الشرعي منهما، وحقيقة الاختلاف وأنواعه.

٢- ورقة بحثية بعنوان: (وحدة الصف والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف في ضوء السنة النبوية)، للدكتور قاسم يوسف غنام، وهي كما ذكر كاتبها جمع لعدد كبير من الأحاديث جعلها تحت عناوين تناسب مضمونها، وتناولها بالدراسة والتعليق.

٣- كتاب: (فقه الائتلاف - قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف)، لمحمود محمد الخزندار، تناول فيه المؤلف الخلاف وأنواعه، والإنصاف ومظاهره وأصوله.

ولم يتناول أي منها الأساليب النبوية لغرس الائتلاف في المجتمع المدني الذي هو محور هذا البحث.

منهج الدراسة:

المناهج المتبعة في هذا البحث هي المنهج الاستقرائي ثم التحليلي والوصفي، وفق الإجراءات الآتية:

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

• المنهج الاستقرائي: باستقراء الأحاديث الواردة في ائتلاف المجتمع المدني بعد الهجرة.

• المنهج التحليلي والوصفي: من خلال دراسة الأحاديث في الائتلاف، واستنباط الأساليب النبوية في غرس تلك القيمة في المجتمع وتعزيزها، ثم وصف بعض التطبيقات المعاصرة لهذه الأساليب.

وقد تم تناول الموضوع في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، فقائمة

المصادر والمراجع.

المقدمة: اشتملت على مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته وأسباب اختياره، وحدوده، والدراسات السابقة، فالمنهج المتبع فيه وإجراءاته، ثم تقسيم خطته.

التمهيد، وفيه:

أولاً: تعريف الائتلاف ومفهومه.

ثانياً: الائتلاف في التشريع الإسلامي.

المبحث الأول: الأساليب النبوية لائتلاف المجتمع المدني بعد الهجرة.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة لأساليب تعزيز الائتلاف.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

ومن الله سبحانه أستمد العون والتوفيق والسداد، وأسأله الإخلاص

والقبول.

التمهيد

أولاً: تعريف الائتلاف ومفهومه

الائتلاف في اللغة من أَلَفَ، ويدل على انضمام الشيء إلى الشيء، أو الأشياء الكثيرة، ومصدره الألفة؛ وهي: الأُنس^(١)؛ وتآلف القوم؛ بمعنى اجتمعوا وتحابوا؛ فالائتلاف: هو الائتنام والاجتماع، وهو اتفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش^(٢).

ولا يختلف معنى الائتلاف في الشرع عن المعنى الذي يفيد في أصل اللغة، وهو أن يلتقي المسلمون وينضم بعضهم إلى بعض ولا يتفرقوا، وأمّا الأمر الذي يتألفون ويجتمعون حوله؛ فهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم^(٣).

ثم إن مفهوم الائتلاف في حقيقته؛ من أوضح التعبيرات على القيم الإنسانية التي تكمن خلف الرغبة في قبول الآخرين، فهو التزام بقيم تماسك المجتمع ووحدة، فالاختلاف من طبائع البشر، والائتلاف مجاهدة للنفع على مقاومة الهوى في مخالفة تلك الطبيعة، فليست له دوافع ذاتية آنية.

(١) انظر: (معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ١/١٣١، وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٣٠/٢٣).

(٢) انظر: (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٨/١، والتعريفات، للجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣٤).

(٣) انظر: (نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، لعدد من المختصين، إشراف: الشيخ: صالح بن عبدالله بن حميد، جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط الرابعة، ٤٢/٢).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

كما أن الائتلاف مرتبط بمنظومة من القيم الاجتماعية والخلقية السامية الرفيعة، منها: التعاون، والتطوع، والمحبة، والتفاهم، والتعاضد، والتكافل الاجتماعي، كما يضم عددًا من القيم والمبادئ والمعتقدات والاتجاهات التي تشكل وعي الإنسان وسلوكه إزاء الآخرين وإزاء المجتمع؛ لكي يتنازل عن رغبته وهواه، ويهذب نفسه ويكبح جماح هواه؛ لتحقيق منفعة المجتمع ككل بشكل إرادي، ففيها تهذيب للذات من الأثرة وحظ الأنا، وتنمية جانب الإيثار، والعفو والصفح، وخفض الجناح وسلامة الصدر والعدل والإنصاف ونحوها من أخلاق تجمع ولا تفرق؛ لتكوين علاقات اجتماعية رفيعة، وتعميق التكافل والتكاتف بين أفراد المجتمع، والمساهمة في حل المشكلات الاجتماعية وخصوصًا في أوقات الأزمات، فالائتلاف يضفي على المجتمع مشاعر الود؛ حيث يشعر الفرد بالطمأنينة وأن في المجتمع من يتقبله ويؤازره وينصره.

إن الائتلاف في الإسلام من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تَأْلِيْفَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَ الْكَلِمَةِ وَصَلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ^(١)، وهو مرتبط بعقيدة الإيمان بالله تعالى، وهذا الارتباط هو الذي يوفر لهذه القيمة القوة المعنوية والطاقة الروحية اللازمة لدفع الفرد لمخالفة هواه ورأيه طائعًا مختارًا، وفي هذا يقول الدكتور علي خليل: "الألفة الجامعة بين الأفراد من خواص الجانب الاجتماعي في الشخصية المسلمة باعتبارها تجاذب يشدّ الفعل الاجتماعي المختار، والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بعضها إلى بعض، وهي تؤدي إلى القوة في الترابط والصحة في التوافق، والمتعة في التضام، وهي التي تشدّ بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض، ووظيفتها الاجتماعية مهمة؛ لأنها داعية إلى التماسك الاجتماعي، واستقرار بنائه، ولها أهميتها الخاصة لكل من الفرد والجماعة لما فيها

(١) انظر: (مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٥١/٢٨).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

من داع إلى التناصر والسلامة الاجتماعية، ولما توفره من جو اجتماعي سليم صحيح لنمو الشخصية الاجتماعية، وقد جاء التأكيد على الائتلاف في أكثر من موضع في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بعضها بلفظ الائتلاف، وبعضها بألفاظ أخرى بمعناه؛ كجمع الكلمة وتوحيد الصف، فالألفة كما يقول الإمام الماوردي: "تجمع الشمل وتمنع الذل"^(١)، لذا من المهم أن يمارس المسلم تلك الأخلاق في مجتمعه، وأن يتحلى بها في سلوكياته للتعبير العملي عن حب الآخرين وتقبلهم.

ثانياً: الائتلاف في التشريع الإسلامي.

الائتلاف قيمة ثابتة؛ فهو من القيم والخصائص الاجتماعية التي تساهم بشكل فاعل في تحقيق الأهداف والطموحات للأفراد والمجتمعات، فالاختلاف بين الناس في البلدان والأجناس، والميول والعقول والفهوم طبيعة من طبائع البشر، وللوازع الديني على مر العصور وتعاقب الأزمان والأجيال الأثر الواضح في ائتلاف الناس، وديننا الإسلامي الحنيف يزخر بالتوجيهات الإسلامية حيال جمع الكلمة وتوحيد الصف وتكاتف المجتمع وتآلفه، فمن مقاصد الشريعة الإسلامية ومحاسنها وفضائلها الائتلاف الذي يتحقق بالاجتماع لا الافتراق، والاتفاق لا الاختلاف، فالاجتماع على الحق ولزوم الجماعة المتمسكة به وعدم مفارقتهم ميزة أهل السنة على غيرهم من أهل الأهواء، فلذلك كان من ألقابهم الشرعية وصفهم بأنهم أهل السنة والجماعة.

وقد وردت في كتاب الله الكريم آيات تأمر المؤمنين وتحثهم على لزوم الجماعة والائتلاف، وتبين أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، فمن الآيات التي تحث

(١) (قراءة تربوية في فكر أبي الحسن الماوردي، لأبي العينين، السعودية: دار المجتمع، ١٤١١هـ، ومصر: دار الوفاء، ١٩٩٠م، ٢٩٦٢٩٧).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

على الائتلاف قول الله تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (١) ، قال القرطبي في تفسيرها: "إن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة، ... ويجوز أن يكون المعنى: ولا تفرقوا متابعين الهوى والأغراض المختلفة" (٢) ، فالذي يتأمل في كلام القرطبي رحمه الله وخاصة قوله: "فَأَوْجِبَ تَعَالَى عَلَيْنَا التَّمَسُّكَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِمَا عِنْدَ الْإِخْتِلَافِ، وَأَمَرَنَا بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا، وَذَلِكَ سَبَبُ اتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَانْتِظَامِ الشَّتَاتِ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ" (٣) ، يدرك أن الائتلاف وجمع الكلمة مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية، وقال ابن كثير في تفسير الآية: "أَمَرَهُمُ بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقَةِ، ... وَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُمُ الْعِصْمَةُ، عِنْدَ اتِّفَاقِهِمْ" (٤) .

فالدين الإسلامي لا يقتصر على توثيق علاقة المسلم مع ربه سبحانه وتعالى فحسب، وإنما يعمل على توثيق علاقة المسلم مع أخيه المسلم من خلال ما يكون بينهما من تآلف وتكاتف وتعاون على الخير والبر، قال تعالى: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْجُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتِغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٣).

(٢) (تفسير القرطبي =الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٤/١٥٩).

(٣) تفسير القرطبي (٤/١٦٤).

(٤) (تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢/٨٩٩).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ^(١) .

ومن الآيات على الحث على الائتلاف قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ

بَيْنِكُمْ^(٢) } ، فالأمر من الله عز وجل للمؤمنين بالتقوى وإصلاح ذات البين إنما هو

للائتلاف وجمع الكلمة وتوحيد صف المسلمين ونبذ الفرقة، وقد كان العرب قبل

الإسلام في حروب متنافرين، وما نفع بهم نصح الناصحين، ولا وساطة

المصلحين، حتى أنعم الله عليهم فألف بين قلوبهم على الدين، قال الله سبحانه

وتعالى ممتناً متفضلاً عليهم: {وَأذْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا^(٣) } ، قال قتادة في تفسيرها: "إذ كنتم تذابحون فيها

يأكل شديداً ضعيفكم، حتى جاء الله بالإسلام فأخى به بينكم، وألف به بينكم،

أما والله الذي لا إله إلا هو إن الألفة لرحمة، وإن الفرقة لعذاب"^(٤) .

كما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بكل ما يجمع الصف ويؤلف المجتمع

ويغلق باب الفرقة؛ فقال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ^(٥) } ، وأمر سبحانه بالإصلاح بين المؤمنين فقال: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا^(٦) } ، وذلك خشية أن يحصل بينهم ما يفرق

جماعتهم، وما يكدر عليهم صفو ألفتهم، وما ذلك إلا ليبقى المجتمع المسلم

(١) سورة المائدة، آية (٢).

(٢) سورة الحجرات، آية (٩).

(٣) سورة آل عمران، آية (١٠٣).

(٤) (تفسير الطبري) = جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٧/٧٧.

(٥) سورة الحجرات، آية (٩).

(٦) سورة الأعراف، آية (١٩٩).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

متربطاً متحاباً متآلفاً، ففي الائتلاف اجتماع وقوة، لذا نهى الله سبحانه تعالى عن النزاع لما فيه من فرقة، فيتمزق المجتمع المسلم وتذهب قوته؛ قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (١). وقد أمر الله سبحانه بالرجوع إليه، والتزام أمره سبحانه، فهو سبيل الائتلاف، وحذر الشرك والعصيان فهما سبب الفرقة والاختلاف، وضرب لنا مثلاً من الأمم التي اختلفت فكان مآلها التمزق والضياع، فقال تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} (٢)، بل إن الله تعالى توعد كل من يخالف أمره بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (٣)، قال السعدي في تفسيرها: "دلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسأله الأصولية، والفروعية، وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال: {لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} أي: لست منهم وليسوا منك؛ لأنهم خالفوك وعاندوك" (٤).

وتوعد سبحانه بالعذاب العظيم كل من تشبه بمن اختلفوا وتفرقوا؛ لأن مع الفرقة والاختلاف تضعف شوكة الإسلام، وتقوض أركان المجتمع المسلم فقال سبحانه: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ

(١) سورة الأنفال، آية (٤٦).

(٢) سورة الروم، الآيتان: (٣١٣٢).

(٣) سورة الأنعام، آية (١٥٩).

(٤) تفسير السعدي (ص ٢٨٢).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

عَدَابٌ عَظِيمٌ^(١) ، وقال سبحانه واصفًا المؤمنين: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ^(٢) ، فالتواصي بالصبر والتسامح والرحمة وسائل لائتلاف القلوب ووحدة الصف وتلاحم المجتمع.

(١) سورة آل عمران، آية: (١٠٥).

(٢) سورة البلد، الآيتان: (١٧).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

المبحث الأول

الأساليب النبوية لائتلاف المجتمع المدني بعد الهجرة

الائتلاف من القيم الإسلامية الأساسية في المجتمع التي أكد عليها القرآن الكريم وترجمتها السنة النبوية تطبيقاً عملياً داخل المجتمع المسلم منذ تأسيسه في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية الشريفة، فالأحاديث النبوية زاخرة بالتوجيه والإرشاد لمكارم الأخلاق وحسن السلوكيات التي كانت الشغل الشاغل لمربي البشرية عليه وسلم، ففي الائتلاف اجتماع وقوة للمجتمع المسلم، فعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت في المنام أنني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهي إلى أنها اليمامة، أو هجر. فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤيائي هذه أنني هزرت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرته أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين. ورأيت فيها بقراً، والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير، وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر»^(١).

وقد تكرر في عدد كبير من الأحاديث ومرات عديدة ومواقف متباينة قولاً وفعلاً في حياة الرسول الكريم، وفي ظروف مختلفة من يسر وعسر، وضغوط متفاوتة الشدة التأكيد على أن الائتلاف وتلاحم المجتمع مطلباً أساسياً لإرساء قواعد المجتمع الإسلامي في المدينة وقوته وانتصار الدين ونشره، لذا نجد أن السنة النبوية مكنزاً زاخراً بالأساليب الناجحة والوسائل الناجعة في غرس الائتلاف في المجتمع، وتعاوده وتعزيزه، ومن تلك الأساليب:

(١) أخرجه: البخاري (ح ٣٦٢٢، ٣٩٨٧، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ح ٧٠٤١)، ومسلم (ح ٢٢٧٢).

أولاً: الشورى.

لقد عني الإسلام عناية خاصة بالشورى؛ فهو من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام^(١)، ولهذا أنزل الله تعالى في القرآن الكريم سورة كاملة تحمل هذا الاسم؛ دلالة على أن الشورى أساس لا يستقيم أمر المجتمع إلا به، كما أمر الله سبحانه وتعالى به رسوله ﷺ؛ قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢)، فاستجاب رسول الله ﷺ لهذا الأمر، وطبقه عملياً؛ حيث ثبت عنه ﷺ أنه كان يستشير أصحابه وأزواجه ﷺ؛ فأرسي من خلاله قواعد الائتلاف والتلاحم في المجتمع المدني، قال الطبري: "إن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمنُ عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفاً منه أمته مأتى الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعلها"^(٣).

فالشورى من أهم الأساليب النبوية لإرساء قواعد الدولة الإسلامية على أساس من الائتلاف والتلاحم ووحدة الصف، فعن أنسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَحْضَنَّاهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْعِمَادِ

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٢٤٩).

(٢) سورة آل عمران، آية: (١٥٩).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٤٥).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

لَفَعَلْنَا...^(١) ، وقد ذكر العلماء أن مشاورة رسول الله ﷺ لأصحابه في غزوة بدر بقصد اختبار الأنصار؛ ليضمن موافقتهم على ذلك توحيداً للكلمة واجتماع الصف، فقد بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده لا على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو، فأجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة^(٢) ، ثم استشارهم بعد القتال في أسرى بدر، فالمشاورة تولد الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتوجد اطمئناناً بصواب العمل، وتلاحماً حقيقياً داخل المجتمع.

كما أن الشورى تعطي قوة للمجتمع لأنها تشعر الأفراد بالمسؤولية المجتمعية، وأنهم جميعاً يسعون إلى تحقيق مصالح مشتركة، فقد استشار رسول الله ﷺ أصحابه في قتال أهل مكة؛ لما منعه وصدوه عن البيت، فقد خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينا له من خزاعة، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال: إن قريشا جمعوا لك جموعا، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ومانعوك. فقال: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ أَتَرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذُرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ الْبَيْتِ فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكَنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ». قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه. قَالَ: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ»^(٣).

(١) أخرجه: مسلم (ح ٤٧٢١).

(٢) (شرح النووي على صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٢/١٢٤).

(٣) أخرجه: البخاري (ح ٤١٧٨، ٤١٧٩).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

وكان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في جميع الأمور حتى في أموره وأمره أهل بيته، ففي حادثة الإفك التي تناولت عرض رسول الله ﷺ أكرم الخلق على الله سبحانه في أحب زوجاته إليه، وعرض صديقه الصديق أبي بكر ﷺ أكرم صحابته عليه، وعرض رجل من الصحابة وهو صفوان بن المعطل ﷺ، قام ﷺ خطيباً طالباً المشورة من المسلمين، فعن عائشة قالت: لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ وَمَا عَلِمْتُ بِهِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيَّ حَاطِبًا فَتَشَهَّدَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسِ أَنْبُوأِ أَهْلِي، وَإِنَّمِ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ، وَأَبْنُوهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا يَدْخُلُ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غَبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِيَ...» (١).

ثانياً: تسمية الأوس والخزرج باسم الأنصار.

لقد كان المجتمع المدني قبل الإسلام في شتات وحرب بين الأوس والخزرج، فكان بينهم من الاختلاف والتباين أكثر من غيرهم، إلى أن أسلموا، وقد كان من أنجح الأساليب النبوية في ائتلافهم ووأد النزاع الذي كان بينهم أن سماهم باسم واحد يجمعهم وهو (الأنصار)، فذهب إحنهم، وألف الله بين قلوبهم على الإسلام، فانتهت عداوتهم، وصاروا بالإسلام إخوانا متواصلين، وبألفة الدين أعوانا متناصرين، فسماهم رسول الله ﷺ بالأنصار ليحل هذا الاسم محل اسم القبيلتين المتناحرتين؛ فقطع دابر النزاع وكل ما يذكر به من دعوى الجاهلية والعصبية القبلية، فصار الانتساب لما يجمع الكلمة، فعن ابن إسحاق قال: "كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة، حتى قام الإسلام وهم على ذلك، فكانت حربهم بينهم وهم إخوان لأب وأم، فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ثم إن الله - عز وجل - أطفأ ذلك بالإسلام، وألف بينهم

(١) أخرجه: البخاري (ح٤٧٥٧)، ومسلم (ح٢٧٧٠).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ^(١) ، فإن القلوب بيد الله سبحانه، والتأليف بينها نعمة امتن بها على المسلمين بعد أن كانوا قبل الإسلام متناحرين، فقال عز من قائل: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ * وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ^(٢) ، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} ^(٣) .

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم في كثير من المواقف يدعو لهم باسم الأنصار تأكيداً على فضلهم، وليُعْلَموا هذا الاسم الجديد لما له من فخر على الاسم القبلي الذي اقترن بالنزاع، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رَدْفُهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْفَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْعَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَابِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسُ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورَ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ حَرْبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْحَرْبِ فَسُوِيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَزْتَجِرُونَ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرَ الْآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ

(١) تفسير الطبري (٧/٢٨).

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: (٦٢٦٣).

(٣) سورة مريم، آية (٩٦).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

(١) وفي رواية عن أنس رضي الله عنه، يقول: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَخْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ، قَالَ: " اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشَ الْآخِرَةِ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا ... عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا .^(٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا، فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَمُنْفَرِقِينَ، فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ بِي؟» وَيَقُولُونَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ، فَقَالَ: «أَلَا تُحِبُّونِي؟» فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا» لِأَشْيَاءَ عَدَدَهَا، زَعَمَ عَمْرُو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا، فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالنِّسَاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَايِدِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَايِدِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٣).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يؤكد على هذه التسمية ويحفظ لكل ذي حق حقه بذكر محاسنه؛ فحرص أن يحافظ على تماسك المجتمع وتألفه حتى بعد موته، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ أبو بكرٍ، والعبَّاسُ رضي الله عنهما، بمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ

(١) أخرجه: البخاري (ح٤٢٨، ٢٧٧١، ٢٧٧٩، ٣٩٣٢، ٦٤١٣، ٣٧٩٥)، ومسلم (ح١٨٠٥).

(٢) أخرجه: البخاري (ح٢٨٣٤، ٣٧٩٦، ٤٠٩٩، ٤١٠٠، ٧٢٠١)، ومسلم (ح١٨٠٥).

(٣) أخرجه: مسلم (ح١٠٦١).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمُنْبَرِ، وَلَمْ يَصْعُدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَأَقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»^(١).

ثالثاً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

حين دخل المهاجرون على الأنصار في المدينة بعد الهجرة، كان

حريصاً على ائتلاف المجتمع، لذا عمد إلى المؤاخاة^(٢) بينهم؛ فهي كما قال الماوردي: "تَكْسِبُ بِصَادِقِ الْمَيْلِ إِخْلَاصًا وَمُصَافَاةً، وَيَحْدُثُ بِخُلُوصِ الْمُصَافَاةِ وَفَاءً وَمَحَامَاةً. وَهَذَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَلْفَةِ، وَلِذَلِكَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَ أَصْحَابِهِ؛ لِتَرْيِدِ أَلْفَتِهِمْ، وَيَقْوَى تَطَافُرُهُمْ. وَتَنَاصُرُهُمْ"^(٣)، فزادت ألفتهم، وقوي تضافرهم وتناصرهم وتناصحهم، فعن أَبِي جَحْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَرَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قَدْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى

(١) أخرجه: البخاري (ح ٣٧٩٩، ٣٨٠١)، ومسلم (ح ٢٥١٠).

(٢) الإخاء المؤاخاة والتأخي: أي ألف بينهم بأخوة الإسلام والإيمان. (لسان العرب، لابن منظور، بيروت: دار صادر، ط الثالثة، ١٤١٤هـ، ٢٢/١٤). (مادة: أخوا)

(٣) (أدب الدنيا والدين، للماوردي، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، ص ١٦١).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(١)، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «أَخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ»^(٢)، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتِ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطْلِقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهَيْمٌ». قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ «مَا سَفَتَ إِلَيْهَا؟». قَالَ: وَزَنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٣). فائتمرت هذه المؤاخاة ابتداءً واندماجًا بين فئات المجتمع.

وقد وأد ﷺ بهذه المؤاخاة بعد الهجرة كل ما يؤدي إلى الاختلاف وافتراق الصف، ويشتت الكلمة من نعرات القبلية الجاهلية، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ

(١) أخرجه: البخاري (ح١٩٦٨، ٦١٣٩).

(٢) أخرجه: مسلم (ح٢٥٢٨).

(٣) أخرجه: البخاري (ح٢٠٤٨، ٢٠٤٩، ٢٢٩٣، ٣٧٨١، ٣٩٣٧، ٥٠٧٢، ٥١٤٨،

٥١٥٣، ٥١٦٧، ٦٠٨٢، ٦٣٨٦)، ومسلم (ح١٤٢٧).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُّهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ^(١). فقد حرص صلى الله عليه وسلم على ائتلاف المسلمين، وغلب دفع مفسدة الخلاف على مصلحة إظهار قوة المسلمين، بالبعد عن كل ما يعكر صفو الاجتماع ويشق الصف.

ثالثاً: الأمر بالائتلاف ولزوم الجماعة، وترك ما يؤدي إلى الفرقة ولو كان مستحباً.

لقد ورد الحث على الائتلاف في مواضع كثيرة من السنة النبوية، وأن من صفات المجتمع المسلم الترابط والتآلف والتماسك، فعن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبٌ حَاجَةً، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤَجَّرُوا، وَلِيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانَ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»^(٢)، وَرَغِبَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّأَلُّفِ لِإِثْرَاءِ الْحَيَاةِ بِكُلِّ مَا هُوَ نَافِعٌ وَمُفِيدٌ لِلْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ بِتَرَابُطِهِ وَتَأَلُّفِهِ، فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَنِعَاطِفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^(٣)، كَمَا حَضَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُوَدَّةِ وَالتَّأَلُّفِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَذَكَرَهُمْ فِي الْأَصْنَافِ الَّذِينَ يَظْلَهُمُ اللَّهُ بِظُلْمِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ

(١) أخرجه: البخاري (ح ٣١٣٨، ٤٩٠٥، ٤٩٠٧)، ومسلم (ح ٢٥٨٤).

(٢) أخرجه: البخاري (ح ٦٠١١)، ومسلم (ح ٢٥٨٦).

(٣) أخرجه: البخاري (ح ٦٠١١)، ومسلم (ح ٢٥٨٦).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

تَحَابًا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١) ، كما جعل الألفة من أسباب الخيري، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ»^(٢) .

كما جاءت أحاديث كثيرة تأمر بالائتلاف، وتؤكد على أن هذا أمر الله لعباده، وامتناله مما يرضيه عنهم، فعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ " ^(٣) .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم لزوم الجماعة من الخير وسبيل النجاة من الفتن في الدنيا ومن النار يوم القيامة ففي حُدَيْقَةَ بِنِ الْيَمَانِ، يُقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنْتُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جَلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَّتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ:

(١) أخرجه: البخاري (ح ٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (ح ١٠٣١).

(٢) أخرجه: أحمد (ح ٩١٩٨)، والحاكم في المستدرک (ح ٥٩)، والبيهقي (ح ٢١٠٩٧)، وصححه الحاكم، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه: مسلم (ح ١٧١٥).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

«تَلَزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ: «فَاعْتَرَلْ تِلْكَ الْفُرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصُ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

فإن بالائتلاف يصلح دين الناس ودنياهم، فليس هناك ما يفسد عليهم دينهم ودنياهم مثل الافتراق والاختلاف، فإن الجماعة قوة ومنعة، والفرقة فشل وهلكة، ولن تستصلح قلوب العباد ويعم الأمن أرجاء البلاد إلا بما أرشدنا إليه صلى الله عليه وسلم، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ " ثَلَاثٌ لَا يُعْلَلُ^(٢) عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»^(٣)، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تَقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبَ الْقَاصِيَةَ»^(٤).

كما سار على نهجه واهتدى بهديه صلى الله عليه وسلم بالأمر بلزوم الجماعة خلفائه من بعده وصحابته المرضيين؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: حَظَبْنَا عُمَرَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُتُّتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِينَا فَقَالَ:

(١) أخرجه: مسلم (ح ١٨٤٧).

(٢) قال ابن تيمية: "وقوله: "لا يُعْلَلُ" أي: لا يحقد عليهن، فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم بل يحبهن ويرضاهن". (مجموع الفتاوى ٥٢/٢٨).

(٣) أخرجه: الترمذي (ح ٢٦٥٧، ٢٦٥٨)، وابن ماجه (ح ٢٣٢)، وأحمد (ح ٤١٥٧)، وإسناده حسن.

(٤) أخرجه: أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي (ح ٨٤٧)، وأحمد (ح ٢١٧١٠، ٢٧٥١٤)، وإسناده حسن.

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

أَوْصِيَكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلًا بِأَمْرَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفِرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»^(١).

وقد حث الصحابة أتباعهم على الائتلاف لما رأوا فيه من الخير، وحذروهم من الاختلاف لما علموا فيه من الشر، فعن سماك بن الوليد الحنفي، أنه لقي ابن عباس، فقال: «ما تقول في سلاطين علينا يظلموننا، يشتموننا ويعتدون علينا في صدقاتنا، ألا نمنعهم؟»، قال: لا. أعطهم. الجماعة الجماعة، إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها، أما سمعت قول الله: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (٣)(٢).

كما يُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ بِتَرْكِ الْمُسْتَحَبَّاتِ؛ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ التَّأْلِيفِ فِي الدِّينِ أَعْظَمُ مِنْ مَصْلَحَةِ فِعْلِ الْمُسْتَحَبِّ، فَقَدْ تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَغْيِيرَ بِنَاءِ النَّبِيِّ لِمَا رَأَى فِي إِبْقَائِهِ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ، لِأَنَّ مَصْلَحَةَ التَّأْلِيفِ فِي الدِّينِ أَعْظَمُ مِنْ مَصْلَحَةِ فِعْلِ هَذِهِ الْمُسْتَحَبَّاتِ^(٤)، وهذا مما يؤكد أهمية قيمة الائتلاف في المجتمع، وحرص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تطبيقها، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْجَدْرِ، أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: «إِنَّ قَوْمَكَ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ»،

(١) أخرجه: الترمذي (ح ٢١٦٥)، وأحمد (ح ١١٤)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٢) سورة آل عمران، آية (١٠٣).

(٣) (الدر المنثور، للسيوطي، بيروت: دار الفكر، ٢/٢٨٥٢٨٦).

(٤) ينظر: (مجموع الفتاوى ٢٢/٤٠٧، والقواعد النورانية الفقهية، لابن تيمية، تحقيق: د أحمد بن محمد الخليل. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ص ٤٦).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا، قَالَ: «فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيَدْخُلُوا مِنْ شَاءُوا، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ، أَنْ أُدْخَلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أَلْصِقَ بَابَهُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

خامسًا: تفضيل الأعمال المتعدية على اللازمة.

لقد رغب رسول الله ﷺ بالتآلف وحث عليه وعلى كل ما يؤدي إليه، لذا فضل عليه وسلم بعض العبادات متعدية النفع على العبادة اللازمة نفعها، وما ذلك إلا لتآلف المجتمع وتكاتفه، فعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَزْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ»^(٢)، وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»^(٣)، وفي حديث أبي اليسر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»^(٤).

وفي السنة النبوية تطبيقات كثيرة ومتنوعة للتأليف بين فئات المجتمع وترابطها، فقد ورد الحث على تلاحم المجتمع وتألفه بالحث على مساعدة المحتاج، وتفريج الكربات، وإصلاح ذات اليمين، وإماطة الأذى عن الطريق، وإعانة الرجل على دابته، والإعانة بإقراض المال، وهداية الأعمى، وتعليم الأخرق صنعة تقيه ذل الحاجة والسؤال، والستر على المسلم، وكفالة اليتيم، وكلها أعمال

(١) أخرجه: البخاري (ح١٢٦، ١٥٨٣، ١٥٨٦، ٣٣٦٨، ٤٤٨٤، ٧٢٤٣)، ومسلم (ح١٢٣٣).

(٢) أخرجه: البخاري (ح٥٣٥٣، ٦٠٠٦، ٦٠٠٧)، ومسلم (ح٢٩٨٢).

(٣) أخرجه: البخاري (ح٢٨٤٣)، ومسلم (ح١٨٩٥).

(٤) أخرجه: مسلم (ح٣٠٠٦).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

تؤدي إلى التكاتف والتكافل وتآلف المجتمع، ففي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلّمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً، فرج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسرٍ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وعشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكروهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٣)، وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: «فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ» أو قال: «بِالْمَعْرُوفِ» قال: فإن لم يفعل؟ قال: «فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ

(١) أخرجه: البخاري (ح ٢٤٤٢، ٦٩٥١)، ومسلم (ح ٢٥٨٠).

(٢) أخرجه: مسلم (ح ٢٦٩٩).

(٣) أخرجه: البخاري (ح ٢٧٠٧، ٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم (ح ١٠٠٩).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

لَهُ صَدَقَةٌ»^(١) ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(٢).

سادسًا: التنازل عن بعض الحقوق الخاصة تأليفاً للجماعة.

لقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الائتلاف وتوحيد الصف وجمع الكلمة في حادثة الإفك التي كانت من أولها حتى آخرها تطبيقاً عملياً من الرسول عليه وسلم للقيم الأخلاقية كلها، فما مر على الرسول ﷺ في حادثة الإفك مصيبة عظيمة لنبي الأمة، فهو درس من أسمى دروس الابتلاء، فقد كشفت عن شناعة جرم المجرمين وبشاعته، حيث تناول بيت النبوة الطاهر الكريم، وقد أشغل ذلك الحدث المسلمين بالمدينة شهراً من الزمان، لكن محنة حادثة الإفك جاءت على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية النبي ﷺ، وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها، وما حلمه وأناته وترثته، وعدم معاقبة المتكلمين به حتى نزل بهم ما نزل إلا دروس عملية تطبيقية لتلك القيم الأخلاقية العالية، وما عفوه عن من كان سبباً بها وهو رأس النفاق والشقاق إلا نبذا لتفريق الصف طلباً للوحدة والتآلف، ففي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها . رَوَى النَّبِيُّ ﷺ . الطويل وفيه قالت: وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْتِ سُلُومٍ، ... فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَعَدَّ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنْتِ سُلُومٍ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي آذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ نَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ صَرَبْتُ عَنْقَهُ،

(١) أخرجه: البخاري (ح ١٤٤٥، ٦٠٢٢)، ومسلم (ح ١٠٠٨).

(٢) أخرجه: مسلم (ح ٢٦٢٦).

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اخْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ! لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ! لَنَقْتُلَنَّكَ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَتَنَازَرَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَلَمَّ يَزَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا،

وَسَكَتَ" (١). فقد ضرب رسول الله ﷺ أعلى مثل في ذلك؛ حين انتظر الناس أن يجدوا من الرسول ﷺ إذا وصل إلى المدينة شدة على المنافقين، وذلك بقتل عبدالله بن أبي بن سلول، فجاء إليه عبدالله بن عبدالله بن أبي سلول ﷺ يعرض على الرسول ﷺ أن يتولى هو قتل أبيه. إذا كان يريد أن يحكم بذلك. لأنه هو من اختلق حادثة الإفك كذبًا وبهتانًا، لكنه فوجئ من رسول الله ﷺ بما لم يكن متوقعًا حينما قال: «بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا» (٢)، فإن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح، لذا قدّم ﷺ مفسدة تغريق الصف، فكان من نتيجة هذه الحكمة أن انحسر عن عبدالله بن أبي قومه، فكانوا هم الذين يعنفونه ويفضحون أمره إذا ما أراد أن يحدث شيئًا، فالمنافق يعتبر في الأحكام مسلمًا مع وجوب الحيطة والحذر منه، وهذا التصرف غاية الحلم، فالقدرة حاصلة للرسول ﷺ بالاقتصاص، لكن رحمته بأمته المتمثل في أقصى درجات الحلم والعفو والتسامح والدعاء لمن آذاه بالمغفرة تأليفاً وتوحيداً للصف وجمعاً للكلمة، قال

(١) أخرجه: البخاري (ح ٢٥١٨، ٣٩١٠، ٤٤٧٣)، ومسلم (ح ٢٧٧٠).

(٢) (تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، للطبري، ومعه: صلة تاريخ الطبري، للقرطبي، بيروت: دار التراث، ط الثانية، ١٣٨٧هـ، ١١٠/٢).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

تعالى: {فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (١).

ولقد عمل رسول الله ﷺ على تصفية النفوس بين المسلمين بعد تلك المحنة، كما عمل على الاهتمام بالأثر النفسي الذي خلفته في صفوف المجتمع بتطبيق المنهج الرباني الموحى به إليه بوجوب الإحسان إلى المسيء بعد أداء العقاب الخاص به، وأن لا تكون هذه المحنة سبباً لمقته من المجتمع؛ والنفقة على الأقارب والإحسان إليهم وإن أساءوا، فحين أنزل الله تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ} (٢)، قال أبو بكر ﷺ . وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره . : "والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة" (٣)، فأنزل الله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} (٤)، قال عبدالله بن المبارك : "هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى" (٥)، فقال أبو بكر ﷺ : "والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبداً" (٦)، فقد تقرر أن خطأ المسلم لا يكون أبداً سبباً في تعطيل طاقاته وعدم أهليته للمشاركة في بناء المجتمع، بل يجب العمل على الاستفادة منه بعد

(١) سورة آل عمران، آية: (١٥٩).

(٢) سورة النور، آية: (١١).

(٣) أخرجه: البخاري (ح ٢٥١٨، ٣٩١٠، ٤٤٧٣)، ومسلم (ح ٢٧٧٠) .

(٤) سورة النور، آية: (٢٢).

(٥) (تفسير القرطبي ١٢/٢٠٧).

(٦) أخرجه: البخاري (ح ٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسلم (ح ٢٧٧٠) .

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

بيان الخطأ الذي وقع فيه ومحاسبته، وذلك لتكاتف أفراد المجتمع وتكافلهم وتآلفهم.

سابعاً: ائتلاف من له قوة وسلطة على المجتمع.

و ضماناً لسلامة المجتمع المسلم ووحدة صفه أمر الله تعالى بسد كل باب يدخل منه ما قد يدعو إلى الفرقة ويشنت الكلمة، فجعل المؤلفه قلوبهم من الأصناف التي يصرف لها الزكاة ضماناً لسلامة المجتمع المسلم قبل أن تقوى شوكة الدين؛ فقال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (١).

فقد ظهر حرصه عليه وسلم على جمع الكلمة ووحدة الصف جلياً في تعامله، خاصة ممن يخشى منهم زرع الفرقة في المجتمع لقوة جاه أو مال أو سلطة أو لحدثه إسلامه فكان يتآلفهم، فعن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: بَعَثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِدُهَيْبَةَ فَسَمَّهَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ: الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسِ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ بَدْرِ الْفَرَارِيِّ، وَزَيْدِ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنَ عَلَاتَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ، فَعَضِبَتْ فُرَيْشٌ، وَالْأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدْعُنَا، قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ». فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفَ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِيءُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمَنُونِي» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ، - أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: " إِنْ مِنْ ضَنْضِيِّ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ

(١) سورة التوبة، آية: (٦٠).

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

(١) ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال ناس من الأنصار، حين أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يُعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا: يعفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يُعطي فريشاً ويتركنا، وسؤوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم، ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حديث بلغني عنكم»، فقال فقهاء الأنصار: أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثه أسنانهم فقالوا: يعفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يُعطي فريشاً ويتركنا، وسؤوفنا تقطر من دمائهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتالفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وتدهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رجالكم، فوالله لما تنقلون به خير مما ينقلون به» قالوا: يا رسول الله قد رضيينا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «سنجدون أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإني على الحوض» قال أنس: «فلم يصبروا» (٢).

(١) أخرجه: البخاري (ح ٣٣٤٤٤، ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١،

٦٩٣٣، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢)، ومسلم (ح ١٠٦٤).

(٢) أخرجه: البخاري (ح ٢٣٧٧، ٣١٤٦، ٣١٤٧، ٣١٦٣، ٣٧٧٨، ٣٧٩٣، ٤٣٣٢،

٤٣٣٣، ٤٣٣٤، ٤٣٣٧، ٥٨٦٠، ٦٧٦٢، ٧٤٤١)، ومسلم (١٠٥٩).

المبحث الثاني

التطبيقات المعاصرة لأساليب تعزيز الائتلاف.

إن الائتلاف وتعزيزه، والسعي الدؤوب على الالتزام به، وتمثله في أرض الواقع ضرورة ملحة خاصة في هذا العصر؛ حيث يعد دعامة قوية لا غنى عنها لزيادة لحمة التماسك بتحقيق السلام الاجتماعي والتغلب على المشكلات وحل النزاعات وقبول الاختلاف والتعايش معه في حدود ما أمر الله سبحانه وأرشدنا إليه الرسول صلی اللہ علیہ وسلم، كما يشجع على المصالحة بخلق جو من الألفة بين أفراد المجتمع، فيشعرون بالتآلف والأمن والطمأنينة، وينطلقون في خدمة دينهم ووطنهم آمنين مطمئنين؛ استجابة لأمر الله ورسوله وأولي الأمر، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على المجتمع من النواحي النفسية والأمنية والأخلاقية والاقتصادية وغيرها، وقد كانت الأساليب النبوية للائتلاف نبزاً للأمة الإسلامية كي يستفيدوا منها دروساً عملية في حياتهم ومستقبل أيامهم في سعيهم إلى الائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف.

ولقد كانت المملكة العربية السعودية - ولا زالت بفضل الله -، وستظل بحوله وقوته رائدة على المستوى العالمي في ائتلاف المسلمين وتربطهم؛ لما لها من مكانة دينية وسياسية، ففيها بيت الله الحرام قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، لذا فإن للائتلاف في الواقع المعاصر تطبيقات مختلفة؛ على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية؛ فمن أبرز التطبيقات على الائتلاف في المجتمع المحلي:

- إنشاء المراكز وتشكيل الهيئات والمجالس واللجان وإنشاء المراكز؛ توحيداً للرأي خاصة في أمور الدين جمعاً للكلمة، مثل:
- ١- هيئة البيعة والتي تضم أفراداً من الأسرة الحاكمة؛ لإعطاء البيعة للملك وولي عهده.

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

٢- مجلس الشورى الذي يمثل صوت المواطن في الدولة، ضمانا لنقل رأي المواطن وإيصاله لولاة الأمر بكل شفافية؛ جمعا للكلمة، وتوحيدا لصف، وزيادة للائتلاف.

٣- هيئة كبار العلماء؛ للبت في أمور الشريعة والتي يقع فيها الخلاف، للخلوص لرأي راجح وفق الأدلة الشرعية والتزام الجميع به.

٤- اللجنة الدائمة للإفتاء، وذلك لإصدار الفتاوى الموحدة؛ جمعا للكلمة، فغالب الخلاف ينشأ من الاختلاف في الرأي خاصة في أمور الدين.

٥- مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، لفتح آفاق للحوار حول القضايا التي تهم المجتمع، ومشاركة أفراد المجتمع في حلها.

- تسخير كافة الإمكانيات في جميع أجهزة الدولة، والمحسنين من المواطنين؛ لخدمة الحجاج والمعتمرين والزائرين للمشاعر المقدسة، وسقياهم وإقامة موائد الإفطار الجماعي للصائمين وغيرهم من الزائرين.
- إقامة الاحتفالات في الأعياد الإسلامية والمناسبات الوطنية؛ لإدخال الفرح والسرور على أفراد المجتمع في احتفالات جماعية تعزز الائتلاف، ورفع الانتماء الوطني لدى المواطنين بذكر محاسن الوطن وما يقدمه للمواطنين، وإبراز ذلك لتعزيز الهوية الوطنية بالولاء له.
- التشجيع على الأوقاف الخيرية بكافة أنواعها، وكفالة الأسر المحتاجة، بالإسكان الخيري، والجمعيات الخيرية لتوفير المتطلبات الأساسية للأسر المحتاجة لعيش كريم، ورعاية منتجاتهم.
- إنشاء جمعيات القطاع غير الربحي في كافة المجالات التي يحتاج إليها المجتمع ودعمها، مثل:

١- جمعيات مساعدة المرضى خاصة ممن تطول مراحل علاجه، ودعمهم نفسياً واجتماعياً كمرضى السرطان.

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

٢- جمعيات الإصلاح الأسري، وإصلاح ذات البين.

٣- جمعيات مساعدة راغبي الزواج، وأسر السجناء والمفرج عنهم، وكفالة الأيتام، ورعاية المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة، وغيرها من الأعمال التي تزيد من الائتلاف والترابط بين أفراد المجتمع.

فالائتلاف يوفر مهادًا اجتماعيًا سليماً للعلاقات الاجتماعية، ومن ثمّ يكون في ائتلاف المسلمين عزّة لهم وقوة في كلّ مكان، ومن أبرز التطبيقات لقيمة الائتلاف على المستوى الإقليمي :

- تكوين مجلس التعاون الخليجي؛ وهو منظمة إقليمية وسياسية واقتصادية وعسكرية، وأمنية؛ يضم ست دول عربية تطل على الخليج العربي؛ لتعزيز الائتلاف فيما بينها في قضايا المصالح المشتركة.
- تشكيل جامعة الدول العربية تضم جميع الدول العربية؛ لتعزيز الائتلاف بينها، وحل القضايا المشتركة، والمحافظة على التراث الثقافي واللغة العربية (لغة القرآن) واستمرارها، والمحافظة على وحدة الشعوب المتحدثة بها.

والمسلمون مهما اختلفت بلادهم وأعراقهم فإن الدين الإسلامي أعظم ما يجتمعون عليه، وقد كان الائتلاف بالاتفاق ووحدة الصف تعظيماً للدين هو الأساس، ولا يأتي هذا الائتلاف تلبيةً للحاجة الملحة وللظروف المحيطة بالأمة المسلمة فقط، وإنما هو استجابة لأمر إلهي، وتحقيق لمطلب شرعي، فهو دليل البراءة من النفاق، وخيرية من يألف ويؤلف محبةً لله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين، ولتحقق التماسك الاجتماعي، وإشاعة روح المودة في المجتمع، ومن أشهر التطبيقات المعاصرة على مستوى العالم الإسلامي:

- إنشاء رابطة العالم الإسلامي لائتلاف المسلمين، وجمع كلمتهم على كتاب الله وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلّم، وحل القضايا ذات العلاقة.

===== الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني =====

- تكوين المجمعات التخصصية؛ مثل: مجمع الفقه الإسلامي، ومجمع اللغة العربية؛ للبت في القضايا والمسائل التي تكون سبباً في الاختلاف، فالوصول لرأي راجح وإعلانه يجمع الكلمة ويوحد الصف، ويقضي على الخلاف فيزيد الائتلاف.

الخاتمة

أحمد الله سبحانه أن أعان ويسر لإتمام هذا البحث، وقد خلصت منه -بفضل الله- بنتائج منها:

١- السنة النبوية هي المنهج القويم، والتوجيه السليم، لذا وجب الارتباط بها واستخلاص الأساليب والوسائل التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم لغرس القيم؛ لأنها التطبيق العملي الراشد والصادق لكتاب الله العظيم.

٢- إن ائتلاف المجتمع وتعزيزه وتعاوده ضرورة ملحة خاصة في هذا العصر؛ فهو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية؛ فقد أمر الله عز وجل به، وطبقه رسوله صلى الله عليه وسلم واقعاً؛ لأنه يجمع الشمل ويمنع الذل.

٣- تسمية الجماعات باسم واحد يجمعهم، من أساليب الائتلاف وقطع أسباب النزاع بينهم، فهو أحد أساليب رسول الله صلى الله عليه وسلم للائتلاف بين الأوس والخزرج.

٤- من الأساليب النبوية في غرس الائتلاف بين من تربطهم علاقة الدين حتى ولو اختلفت بلدانهم وألوانهم المؤاخاة؛ وهي من أعلى مراتب الألفة، فقد آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار؛ لأن في المؤاخاة ملازمة تكسب ميلاً وإخلاصاً فينتج من ذلك وفاء ومحاماة.

٥- تفضيل العبادة متعدية النفع على العبادة لازمة النفع لصاحبها، من الأساليب النبوية لتعزيز الائتلاف في المجتمع وتكاتفه.

٦- ترك بعض الأعمال المستحبة، أو التنازل عن بعض الحقوق الخاصة طوعاً، لمصلحة التأليف في الدين أعظم أجراً، فقد كان

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

ذلك من الأساليب التي استخدمها رسول الله ﷺ ورغب فيها رُأباً للصدع وتعزيراً للئتالف.

٧- المملكة العربية السعودية في مقدمة الدول الإسلامية المطبقة للأساليب النبوية في الائتلاف على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

التوصيات:

- تشجيع البحوث والدراسات والبرامج للقيم عامة ولقيم الوحدة بخاصة، وتشجيع ابتكار آليات مقترحة لتطبيق هذه القيمة عملياً، وتخصيص الجوائز للبرامج الناجحة منها.
 - تدشين قنوات إعلامية خاصة للأطفال لغرس القيم من خلال السيرة النبوية، وما يناسبهم من أساليب تربوية حديثة، والتركيز على قيمة الائتلاف وإبراز ذلك بشتى الممارسات المتعلقة بهذه القيمة وبيان أثرها في الفرد والمجتمع، فالاهتمام بتربية الناشئة في الصغر قبل سني المدرسة تربية أخلاقية وفق ما جاء في الشريعة الإسلامية أدعى للانضباط في الكبر.
- وختاماً أسأل الله تعالى أن يرزقني الإخلاص، ويتقبل مني، ويتجاوز عن تقصيري وجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

قائمة المصادر والمراجع

- ١- البخاري (ت ٢٥٦هـ): محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- ٢- ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني. القواعد النورانية الفقهية، تحقيق: د أحمد بن محمد الخليل. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.
- ٣- ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني. مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ٤- ابن الحجاج (ت ٢٦١هـ): مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ٥- ابن حنبل (ت ٢٤١هـ): أحمد بن محمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- ٦- ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

- ٧- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي. تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط الثانية. دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ٨- ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ): أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- ٩- ابن منظور (ت ٧١١هـ): محمد بن إسحاق. لسان العرب. ط الثالثة. بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- ١٠- البيهقي (ت ٤٥٨هـ): أبو بكر أحمد بن الحسين. السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا. ط الثالثة. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ١١- أبو العينين: علي خليل مصطفى. قراءة تربوية في فكر أبي الحسن الماوردي. السعودية: دار المجتمع، ١٤١١هـ، ومصر: دار الوفاء، ١٩٩٠م.
- ١٢- الترمذي (ت ٢٧٩هـ): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي = الجامع الكبير، المحقق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- ١٣- الجرجاني (ت ٨١٦هـ): علي بن محمد الزين الشريف. التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ١٤- الحاكم (ت ٤٠٥هـ): أبو عبدالله محمد بن عبدالله الضبي النيسابوري المعروف بابن البيع. المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

أ.د/ بدرية بنت عبد العزيز بن إبراهيم السعيد

- ١٥- الحموي (ت ٥٧٧٠هـ): أبو العباس أحمد بن محمد الفيومي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.
- ١٦- الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني، الملقب بمرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.
- ١٧- السعدي (ت ١٣٧٦هـ): عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله. تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ١٨- السيوطي (ت ٩١١هـ): جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. الدر المنثور. بيروت: دارالفكر.
- ١٩- الطبري (ت ٣١٠هـ): أبو جعفر محمد بن جرير الأملّي. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، ومعه: (القرطبي (ت ٣٦٩هـ): عريب بن سعد. صلة تاريخ الطبري). ط الثانية. بيروت: دار التراث، ١٣٨٧هـ.
- ٢٠- الطبري (ت ٣١٠هـ)، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملّي. تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ٢١- عدد من المختصين. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، إشراف: الشيخ: صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي. ط الرابعة. جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
- ٢٢- القرطبي (ت ٦٧١هـ): شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد

الأساليب النبوية في ائتلاف المجتمع المدني

- البردوني وإبراهيم أطفيش. ط الثانية. القاهرة: دار الكتب المصرية،
١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- ٢٣- الماوردي (ت ٤٥٠هـ) أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي.
أدب الدنيا والدين. دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
- ٢٤- النسائي (ت ٣٠٣هـ): أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخراساني.
السنن الصغرى للنسائي = المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو
غدة. ط الثانية. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية،
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ٢٥- النووي (ت ٦٧٦): أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري. شرح النووي
على صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط
الثانية. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.
